

سيكولوجية الاغتراب

د.عثماني نعيمة *

الملخص باللغة العربية:

الاغتراب ظاهرة إنسانية وخاصة مميزة للإنسان، لاقت اهتماما كبيرا بين علماء النفس، والتربية، والاجتماع، والفلسفة، وهو مصطلح هام في العصر الحاضر، يعكس أضخم المشكلات التي تواجهنا اليوم بإجماع مختلف الكتاب والباحثين، فهو خبرة يعيشها الفرد جذورها تضرب في الوجود الإنساني. وخلال مقالنا هذا سوف نحاول التطرق لظاهرة الاغتراب في ابعادها المختلفة مركزين على المقاربات السيكولوجية. **الكلمات المفتاحية:** الاغتراب، النظرية السلوكية، التحليل النفسي، نظرية السمات والعوامل، نظرية الذات.

ملخص باللغة الإنجليزية:

Abstract: Alienation is a human phenomenon and a characteristic characteristic of man
this is an important term in the present age, which reflects the greatest problems facing us today by the consensus of the various writers and researchers. It is an experience experienced by the individual whose roots strike into human existence. In this article we will try to address the phenomenon of alienation in its various dimensions based on psychological approaches.
Key words: Alienation, behavioral theory, psychoanalysis, theory of personality and factors, self-theory

* - علم النفس العيادي. جامعة الدكتور مولاي الطاهر، سعيدة، البريد الإلكتروني: [psy.otmani@yahoo.fr].

مقدمة:

الاغتراب ظاهرة إنسانية وخاصة مميزة للإنسان، لاقت اهتماما كبيرا بين علماء النفس، والتربية، والاجتماع، والفلسفة، وهو مصطلح هام في العصر الحاضر، يعكس أضخم المشكلات التي تواجهنا اليوم بإجماع مختلف الكتاب والباحثين، فهو خبرة يعيشها الفرد جذورها تضرب في الوجود الإنساني.

1- المفهوم اللغوي للاغتراب:

جاء في لسان العرب لـ "ابن منظور" أن الكلمة العربية هي: غربة وتدل على معنى البعد، فغريب بعيد عن وطنه، والجمع غرباء، والأنثى غريبة، والغرباء هم الأبعاد، فالكلمة تعني البعد والتنحي والتباعد، على هذا النحو فالكلمة العربية تدل على معنيين:

الأول: دلالة على الغربة المكانية.

الثاني: دلالة على الغربة الاجتماعية.

وتجمع معاجم اللغة العربية على اختلافها على أن الكلمة "الغربة" أو "الاغتراب" تعني النزوح عن الوطن، أو البعد، أو الانفصال عن الآخر.

2. مفهوم الاغتراب فلسفيا:

الاغتراب مصطلح يركز على موضوعات مشتركة بين العلوم الاجتماعية والنفسية والفلسفية والأدبية، وقد تزايد الاهتمام به خاصة في العصر الحديث. إن مفهوم الاغتراب حسب (مجدي أحمد محمد عبد الله، 2001: 1) مفهوم قديم إلى حد ما، حيث ظهر منذ وقت مبكر في الفلسفة والدين، وقد وردت الكلمة اللاتينية (Alienation) في كتابات "سينيكا" و"شيشرون" وغيرهما من مفكري الرومان. يرى (عادل عبد الله، 1999: 2000) أن الاغتراب خاصية مميزة للإنسان فهو الكائن الوحيد الذي يستطيع أن ينفصل عن ذاته، وقد ينفصل عن مجتمعه أو عن كليهما، وتختلف درجة الإحساس بالاغتراب باختلاف الظروف المهيأة له، ومن ثم تباين الأفراد في درجة إحساسهم بالاغتراب. أما (حليم بركات، 2006: 36) فيبرر أهمية الاغتراب في الثقافة الحديثة، وأهميته دفعته إلى زيادة الاهتمام به، لكن لا زال مفهوما غامضا ويحمل الكثير من الدلالات.

تناول عالم الاجتماع الأمريكي سيمان (M. Seman) عام 1959 في (على شتا، 1997: 103) مصطلح الاغتراب من منظور نفسي اجتماعي وتوصل إلى تحديد خمسة مفاهيم مختلفة له، أطلق عليها تسميات: العجز، فقدان المعايير، غياب المعاني، اللانتماء، الاغتراب الذاتي.

أما الباحث الأمريكي أنثوني ديفيدز في (حليم بركات، 2006: 36) قد توصل بعد البحث الميداني في جامعة هارفارد قبل سيمان بسنوات إلى أن مفهوم الاغتراب يتألف من خمسة توجهات متشابهة هي: التركيز على الذاتية، عدم الثقة، التشاؤم، القلق، الاستياء.

وبالمقارنة بين نتائج كلا الباحثين (سيمان و ديفيدز) نتوصل إلى أنه لا توجد عناصر مشتركة، مما يدل على غموض مفهوم الاغتراب.

وفيما يلي نتطرق إلى مختلف التعاريف الفلسفية للاغتراب حسب الباحثين:

أ. الاغتراب عند هيجل (1770-1831):

استعمل هيجل التعبير الألماني لمفهوم الاغتراب (Entfremdung) في كتابه "فينومينولوجيا الروح" حسب (حليم بركات، 2006: 37) وتم نشره سنة 1807 ومن ثم أصبح مفهوم الاغتراب مألوف في الفلسفة الألمانية.

هيجل هو أول فيلسوف تناول مفهوم الاغتراب بطريقة منهجية واضحة، حسب ما ذكر في (سهير عبد السلام، 2003: 22) ونميز في كتاباته بين مجالين للاغتراب: * **الاغتراب الإيجابي المقبول**: مصطلح تخرج بالألمانية (Entaesserung) وهو تمام المعرفة بذاتها إذ أن المعرفة المطلقة تتضمن الاغتراب بقدر ما تحتويه في الآن نفسه حركة نحو التخطي.

* **الاغتراب السلبي**: اغتراب بمعنى انفصال أو انقسام، وعدم التعرف على الذات.

ومن وجهة هيجل الاغتراب أصبح أكثر وضوحا لما قام بتحليل العلاقة بين الفرد وعالمه، إذ تناول الوعي بالذات وجدل السيد والعبد.

يقرر هيجل في (سهير عبد السلام، 2003: 26) بأن: "الوعي الذاتي لا يبلغ حالة الرضا إلا في وعي ذات آخر"، فالعبد يستخدم الأشياء ليحقق استقلاله الذاتي، فتصبح صورة الحياة فكرية وأشكال مغتربة للروح (البعد الإيجابي للاغتراب) ويحقق وعيه الذاتي بالعمل الذي يخضع لتحقيق رغبة السيد (البعد السلبي للاغتراب).

وفي (سهير عبد السلام، 2003: 28) السيد أقحم العبد بين رغبته والتشيء، لكنه ليس له علاقة بالتشيء إلا بتوسط العبد، أي رغبة السيد غير مستقلة ذاتيا

لكونها تتحقق من خلال العبد، أي هناك خضوع العبد والأشياء للسيد، فالعبد لا يعرف قدراته الخاصة وحقيقته إلا في ظل سيده، والسيد يكتفي بالاستهلاك والاستمتاع ويفتقد وصوله لذاته لكونه لا يقوم بالعمل فالفرد لا يستطيع أن يكون ما يكونه إلا من خلال فرد آخر، ووجود ذاته ينحصر في وجوده من أجل آخر.

يعرف هيجل الاغتراب في (حليم بركات، 2006: 37) على أنه حالة اللاقدرة أو العجز التي يعانيها الإنسان عندما يفقد سيطرته على منتجاته وممتلكاته، فتوظيف لصالح غيره بدل أن يسطو هو عليها لصالحه الخاص.

كما أن هيجل يجعل من الحرية والملكية في مقابل الاغتراب، بمعنى: الحرية تكمن في كون الإنسان يمتلك ذاته امتلاكاً واعياً، وتاماً (الإنسان واحد مع نفسه) والملكية تكون بعدم امتلاك الإنسان لذاته وضياعها واستلابها على نحو يؤدي إلى العبودية وهنا نتحدث عن الاغتراب لما ينفصل الإنسان عن ذاته وأفعاله.

هيجل يجعل للملكية مكاناً في تكوين الفرد لذاته أي في إرادته الحرة، فلما كانت حرية الشخص تمارس في المجال الخارجي للأشياء، ففي استطاعة الشخص أن يخرج ذاته أي أن التعامل مع ذاته بوصفه موضوعاً خارجياً، وفي استطاعته بمحض إرادته أن يجعل ذاته مغتربة.

إن الاغتراب عند هيجل مرده إلى البعد عن الطبيعة، وعن النشاط الإبتكاري فهو انفصال عن البيئة الاجتماعية بحيث يتم التنافر بدل التكامل والانسجام، وهذا ما يفرض تناقض لدى الفرد مع هويته وبالتالي يفقد دوره الاجتماعي ويصبح يتبنى أقصى قيم التطرف مما يؤثر على فكره وحركاته.

ب. الاغتراب عند كارل ماركس (1818-1883):

ماركس انتقد هيجل في (سهير عبد السلام، 2003: 30) عندما اعتبر هيجل التموضع أو التخارج اغتراباً رغم أنه إيجابي، فماركس أرجع الجانب الإيجابي للعمل وليس للاغتراب، والاغتراب حسب ماركس هو الجانب السلبي للعمل.

ورد في (على شتا، 98/97: 32) أن ماركس عاد إلى التحليل السوسيولوجي الاقتصادي مهتماً باغتراب المستخدم عن وسائل الإنتاج نتيجة الملكية الخاصة وتقسيم العمل.

ماركس توصل من خلال نظريته إلى تحديد أربع جوانب من هذا الاغتراب: 1- هناك اغتراب العامل في علاقته بمنتجاته: العامل ينتج ويتقاضى أجر وليست له القدرة على تملك منتجاته.

2- اغتراب العامل عن عمله بالذات في المجتمعات الرأسمالية: لا يحقق في عمله أي اكتفاء ذاتي، وأي إبداع أو نمو، إنه في عمله لا يؤكد على ذاته بل يتنكرها ولا يشعر بالرضا بل بالتعاسة.

3- اغتراب العامل في المجتمع الرأسمالي عن الطبيعة نفسها التي هو جزء منها، كما هي جزء منه ومن الوعي الإنساني، يحول الطبيعة لسد حاجته المادية وتصبح حاجاته للعيش والبقاء الجسدي.

4- اغتراب الإنسان في علاقته مع الإنسان: ليس فقط بسبب العزلة بل لأن العامل يعمل ليس لنفسه، بل لغيره وتحت سيطرته.

ويحيلنا ما سبق إلى مفهوم ماركس عن التشيؤ في كتابة "رأس المال" تحت عنوان "فيتيشية السلع" "Fétichisme of commodités" فالأشياء الجامدة تمنح بموجبها أوصافا وفضائل لا يتصف بها غير الإنسان، ويتم التعامل مع قوى الإنسان الجوهرية كما تتعامل مع الأشياء.

ماركس يرى في (حليم بركات، 2006: 41) أن أهم سلبيات المجتمع الرأسمالي هي الاغتراب، والمخرج يراه في إلغاء العمل المغترب القائم على الملكية الخاصة أي إلغاء الملكية عنده كانت وسيلة لإلغاء العمل المغترب لا غاية في ذاته.

وما تجدر الإشارة إليه في هذا المقام هو الانتقادات الكثيرة التي وجهت لماركس خاصة من ميلز (R. Mills) الذي اعتبر أن تسليم ماركس باغتراب العامل يغلب عليه الطابع الفلسفي أكثر من التفسير العلمي لكونه لديه حكم سابق يتمثل في كون العمل الحرقي هو بمثابة عمل مثالي.

ج. الاغتراب عند هريت ماركيز (1898 – 1979):

تذكر لنا (سهير عبد السلام، 2003: 51) أن الاغتراب عند ماركيز نابع من كونه موجود لآخر، لا موجود لذاته، هذا الآخر الذي يرسم معالم شخصيته ويحدد وجوده واحتياجاته ومصالحه المسيطرة في المجتمع، وهو ما يعرف بعملية تشكيل الفرد وتطويعه كي يتفق والقالب المطلوب حضاريا.

من مظاهر الاغتراب عند ماركيز نجد :

1 - جدلية الإنسان والمجتمع: جاء في (سهير عبد السلام، 2003: 53) أن الإنسان المعاصر هو نتاج المجتمع الصناعي المتقدم وتجسيد كامل لتوجهاته وحامل إيديولوجيته، والمجتمع الصناعي المتقدم المبتكر لوسائل رفاهية ذلك الإنسان وهي

نفس الوسائل التي يعود لسيطر من خلالها على ذلك الإنسان وهي علاقة جدلية، يعد اغتراب الإنسان نتيجة لها ويرى ماركيز أنها حتمية في ضوء الواقع القائم.

2 - التفكير الإيجابي: ينبغي على الإنسان أن يبحث عن الطريق الذي يقوده من الوعي الزائف إلى الوعي الحقيقي، ومن مصلحته الفورية إلى مصلحته الواقعية والبحث هنا يكون بعد قناعاته بضرورة تغيير نمط حياته.

3- فقدان الحرية في إطار من الديمقراطية:

الحرية الاقتصادية، تعمل تحت شعارات مثل: "دعه يعمل دعه يمر" و"الغاية تبرر الوسيلة" و"البقاء والاستمرار للأقوى والأصلح"، فالتحرر أصبح حرية اختيار ووسيلة الكسب، لا لتحرر من الكسب وقيوده وضغوطه. إذن الحرية السياسية هي حرية الاختيار بين أفراد لا أفكار.

4- توحد الأفراد مع الوجود المفروض عليهم: توحد يؤمن استمرار الوضع القائم وقبول الأفراد له، إلا أنه يخلق في الوقت ذاته وعيا زائفا وكاذبا لدى الأفراد ويؤدي إلى استلابهم.

5 - الضمير السعيد: إذا كان الضمير سعيدا فحتما هنالك خلل في أداء وظيفته، ولكل شيء مبرر والكل متوافق حتى أبشع الأفعال (الفرد الذي ألقى القنبلة الذرية على هيروشيما وناجازاكي). إن الضمير السعيد ليس له من حدود، وفي وسعه أن ينظم ألعابا يلعب فيه الإنسان مع الموت والتشويه، ويتحد فيها العمل الجماعي مع التسلية. يقرر ماركيز في (سهر عبد السلام، 2003: 66) أن الضمير السعيد "يسلم زمام أمره للتشيؤ" فلقد كان ينبغي على الضمير الإنساني أن يكون معيارا للصواب والخطأ للحقيقة والزيف، للمفيد وللضار، كما يرتقي بالإنسانية ويحقق لها الخير والسعادة، إلا أنه قد تأثر هو أيضا بما توفره الحياة المعاصرة من احتياجات ومتطلبات للأفراد، الأمر الذي يغفر لها سلباتها وميولها التدميرية تجاه الطبيعة والإنسان وهو ما يمثل مظهرا بارزا لاغتراب الإنسان وضميره.

6- الخيال أسير الواقع: جاء في (سهر عبد السلام، 2003: 69) بأن المجتمع قام بدمج الخيال بالواقع وشد النطاق عليه وجعله يكبل عن إحداث أي تغيير وثورة، فالمسافة بين الخيال والواقع قلصت وأصبحت مرتبطان ارتباطا مصيريا، فالخيال لا ينشط إلا تبعا للاحتتمالات التقنية التي يمكن أن تتحقق في المستقبل بفضل قدرات الحضارة الصناعية المتقدمة.

7 - الإنسان السوي في المجتمع المريض: أوردت (سهير عبد السلام، 2003: 71) أن ماركيز ينطلق من إشكالية أولية هي أن المجتمع القائم ليس مجتمعا سويا، بل هو مجتمع شاذ وغير عادل، لذا نتساءل أليس الفرد الذي يتصرف وظيفيا على نحو سوي وسديد وصحي كمواطن بمجتمع مريض يكون هو نفسه فردا مريضا؟ وهنا الصحة العقلية للإنسان يكون فيها خلل راجع إلى عدم قدرته على التكيف مع مجتمعه المريض، مما يعكس تغلغل المجتمع في النفس الإنسانية إلى درجة تصبح فيها الصحة العقلية هي صحة مجتمع لا صحة فرد.

د. الاغتراب عند إميل دوركايم:

شدد دوركايم بالمقارنة مع المفهوم الهيجلي - الماركسي على فكرة تفكك القيم والمعايير الاجتماعية والثقافية، وفقدان السيطرة على السلوك الإنساني وضبطه. حالة الأنوميا (Anomie) أهم ما تناوله دوركايم بالدراسة المعمقة التي هي في صلب المفهوم الدوركايمي للاغتراب، ويشير هذا المصطلح في (حليم بركات، 2006: 44) إلى حالة تدهور المعايير التي تضبط العلاقات الاجتماعية، فتنشأ عن ذلك أزمات حادة بين عدة فئات متنافسة أو متناحرة وهذا ما يهدد التماسك الاجتماعي.

ربط دوركايم بين ظاهرة الانتحار والوضع الأنومي في محاولة لتحليل أمراض تفسخ المجتمع، بحيث تتحطم القيم، والمعايير التقليدية من دون أن يحل مكانها قيم ومعايير جديدة فاعلة، وفي تشخيصه لأمراض المجتمعات الحديثة يرى دوركايم أن انتشار الاغتراب في المجتمع لا يعود إلى صعوبة سد حاجاته بل كما يقول: "بل لأننا لم نعرف حدود حاجتنا الشرعية".

3. المفهوم السيكلوجي للاغتراب:

تعدد المفهوم السيكلوجي للاغتراب بتعدد أبعاده، مما حال دون تحديد مفهوم جامع له، وفيما يلي عرض لمختلف المفاهيم: تعرف (إجلال محمد سري، 2003: 199) الاغتراب على أنه اضطراب نفسي، من مظاهره فقدان الفرد نفسه ويصبح غريبا عن نشاطاته ويكاد يفقد إنسانيته كلها، فهو يستنكر أعماله ويفقد شخصيته، ويشعر بفقدان هويته وأعماله وأنه مجرد شيء. يدعم هذا التعريف (عادل عبد الله، 2000: 99) إذ يقول: "الاغتراب في المجال النفسي يشير إلى درجات من الاضطراب في الشخصية وفي علاقتها بالموضوع، بحيث يمكن أن يحيا المغترب حياة عادية وإن كانت مشوبة بالضيق والمشقة ويضيف

الاغتراب النفسي هو اضطراب في العلاقة التي تهدف إلى التوفيق بين مطالب الفرد وحاجاته وإمكانياته من جانب، وبين الواقع وأبعاده المختلفة من جانب آخر.

وفي نفس السياق، ذكر في (زهور زواني، 2005: 48) تعريف للاغتراب على أنه تجريد للشخصية (Depersonalization) وهو زملة من أعراض التفكك التي تتواجد في مجموعة من الأمراض العقلية والعصبية مثل: الفصام وبعض الأمراض الذهانية الحادة وكذا الهستيريا، وتتميز هذه الزملة بتفكك نظام الشخصية وانفصال لبعض أجزائه واضطراب أدائها الوظيفي، وهنا تصوب للباحثة بحيث نقول: انفصال بعض أجزائه وأدائه الوظيفي (الهاء تعود للنظام الشخصي لا للزملة) وقد يكون التفكك كاملا لدرجة أن الجزء المفكك يحكم الشعور والشخصية ككل.

أما عادل الأشول وآخرون يعرفون الاغتراب في (سناء حامد زهران، 2004: 104) على أنه انفصال الفرد عن ذاته، ويتمثل ذلك في انفصال الشخص عن مشاعره الخاصة ورغباته وطاقته، إنه فقدان الإحساس بالوجود الفعال، وبقوة التصميم في حياته الخاصة.

ويرى محمد حضر عبد المختار في (سناء حامد زهران، 2004: 105) أن الاغتراب يتضمن شعور الفرد باللامعنى وفقد القوة والشعور بالوحدة وعزلة الذات، ويشعر الفرد بالعجز نحو الدور المحدد له في أية مؤسسة أو عمل.

وعلى خلاف عادل الأشول ومحمد حضر الذين يحصران الاغتراب في البعد عن الذات، نجد اغتراب عن المجتمع تطرق له كل من: فرج طه ووفاء فتحي في (سناء حامد زهران، 2004: 104) حين عرفا الاغتراب على أنه زملة الأعراض التي يبدو معها الفرد وكأنه غريب عن المجتمع الذي يعيش فيه، إنه التوافق العصبي بعامة حيث تزداد الهوة بين الفرد وعالمه ويشعر بالعزلة والضياع والوحدة وعدم الانتماء وفقدان الثقة والشعور بالقلق والعدوانية ورفض القيم والمعايير الاجتماعية، والاغتراب عن الحياة الأسرية والمعانات من الضغوط النفسية.

وبين حصر الاغتراب في البعد عن الذات أو عن المجتمع، كان هناك تعاريف جمعت بين الاثنين، فالاغتراب هو شعور بالانفصال النسبي عن الذات أو المجتمع أو كليهما وهو خبرة تنشأ نتيجة للمواقف المختلفة التي يعيشها الفرد مع نفسه ومع الآخرين، وتؤدي إلى شعور الفرد بانفصاله عن ذاته أو عن واقعه أو عن كليهما، وهو حالة تعكس سوء التوافق حسب (ديانا هيلز، 1999: 74) والضغوط التي يتعرض لها الفرد.

كما نجد أحمد خيرى (1983) يعرف الاغتراب في (محمد خضر عبد المختار، 1998: 57) بأنه وعي بالصراع القائم بين ذاته وبين البيئة المحيطة به بصورة تتجسد في الشعور بعدم الانتماء والسخط والقلق وما يصاحب ذلك من سلوك إيجابي، أو الشعور بفقدان المعنى واللامبالاة ومركزية الذات، والانعزال الاجتماعي، وما يصاحبه من أعراض إكلينيكية.

إذن ومن خلال التطرق لمختلف التعاريف نخلص إلى أن التعريف السيكلوجي للاغتراب تمحور حول:

- 1- الاغتراب هو شعور بالتباعد عن الذات.
- 2- الاغتراب هو شعور بالتباعد عن المجتمع.
- 3- الاغتراب هو شعور بالتباعد عن الذات والمجتمع .
- 4- الاغتراب هو اضطراب نفسي يتحدد حسب على وطفه في (سناء حامد زهران، 2004: 105) بالجوانب التالية:

- حالات عدم التوافق الإنساني التي تعانيها الشخصية: ويتضمن ذلك:

* عدم الثقة بالنفس.

* القلق المستمر.

* الرهاب الاجتماعي.

* المخاوف المرضية.

- حالة الديمومة للعقد النفسية التي تعترى الشخصية مثل:

* عقدة أوديب.

* عقدة النقص.

* عقدة الاضطهاد.

- ضعف الشعور بالهوية مثل:

* الشعور بانتماء والجهد والحب

* الشعور بالثقة بالنفس.

* الشعور بالقيمة وغياب الإحساس بالأمان.

4. تفسير الاغتراب حسب مختلف النظريات السيكلوجية:

تم تفسير الاغتراب من وجهات مختلفة وكان التباين أمرا جليا بسبب اختلاف وتباين الانتماءات.

سوف نعرض فيما يلي مختلف التفسيرات في ضوء عدد من النظريات
السيكولوجية:

أ- تفسير النظرية السلوكية:

هذه النظرية تفسر المشكلات السلوكية بأنها أنماط من الاستجابات الخاطئة
أو غير السوية المتعلمة بارتباطها بمثيرات منفردة، والفرد يحتفظ بها ويستعملها لتجنب
خبرات غير مرغوبة، فهذه النظرية تدلّ بأن الفرد يشعر بالاعترا ب عن ذاته عندما يفقد
تواصله معها وينصاع ويندمج مع الآخرين حتى يتفادى فقدان التواصل معهم.

ب - تفسير نظرية التحليل النفسي:

سوف نتطرق إلى التفسير حسب كل من : سجموند فرويد وإريك فروم.

* تفسير الاعترا ب حسب سجموند فرويد :

تناول فرويد الاعترا ب حسب ما ورد في (محمد عبد المختار، 1998: 47) من
وجهة نظر اللاوعي وغربة الذات واهتم بالشعور واللاشعور وتناوله على أنه "اضطراب
مرضي" وعقدة أوديب شكل من أشكال الاعترا ب وركزت هذه النظرية على فكرة
الإحباط من خلال تحضر المجتمع.

وأوضح فرويد هذا في كتابه " الحضارة وتوعكها "، فهو انطلق من مقولة
تشدد على وجود تصادم بين رغبات الإنسان، ومتطلبات الحضارة، وبالتالي بينه وبين
المجتمع والثقافة السائدة.

ومن منطلق نزوة الشر في الطبيعة الإنسانية، وكون الإنسان مناهض لما هو
اجتماعي فعلى المجتمع حسب فرويد السماح ببعض الإشباع المباشر لدوافعه
البيولوجية وإلا يحدث كبت مع معاناة، وما يفصل بين الذات والعالم الخارجي غامض
فيلجأ الفرد إلى عالمه الداخلي متجنباً الواقع (النفي) أو يلجأ إلى نشاطات عملية وفنية،
وقد اختار فرويد كلمة إعلاء أو تسامي لهذا التحول من الكبت إلى السلوك المتحضر.

يعيد فرويد تعاسة الإنسان إلى ثلاثة مصادر رئيسية:

* تفوق قوة الطبيعة.

* ضعف الجسد.

* الحضارة المتحكمة في العلاقات الاجتماعية في العائلة، والدولة، والمجتمع.

وقد ركز على المصدر الثالث، فمتطلبات الحضارة تقتضي أن يتنكر الفرد
لرغباته أهمها الرغبة الجنسية والنزعة العدائية فيكتبها أو يضحى بها.

إن الحضارة تمكنت من التعدي على الحرية الجنسية، حسب فرويد في (حليم بركات، 2006: 50) مما يتسبب في انحرافات وأمراض نفسية لا تحد.

ويرى فرويد أن الإنسان مخلوق "بين معطياته الغرائزية قسما قوي من العدوانية وذلك لأن" الإنسان ذئب الإنسان" فالنزعة العدوانية تهدد باستمرار المجتمع المتحضر لأن العواطف الغرائزية هي أقوى من المصالح المعقولة والكبت الجنسي يتحول إلى صراع داخل الإنسان بمبدأ اللذة ومبدأ الواقع، وينقلب كبت العدوانية إلى صراع بين مبدأ الحياة ومبدأ الموت، ولهذا تتكون لدى الفرد قوى رادعة تتمثل بالضمير والذات الكبرى والشعور بالذنب والندم وتعذيب الذات.

فرويد استطاع أن يصل إلى الحقائق التالية:

* **اغتراب الشعور:** فالخبرات يتم كبتها لتقليل الألم الناتج منها ولذلك فإن تذكرها أمر صعب يحتاج إلى مجهود كبير للتغلب على المقاومة، التي تحول دون ظهور هذه الخبرات إلى الشعور وبذلك يغترب الشعور عن الخبرات المكبوتة، والمقاومة هنا مظهر من مظاهر اغتراب الشعور.

* **اغتراب اللاشعور:** يشير فرويد في (سناء حامد زهران، 2004: 112-113) إلى أن الخبرات المكبوتة تبدأ حياة جديدة شاذة في اللاشعور وتبقى هناك محتفظة بطاقتها، تتحين فرصة الخروج وطالما أن أسباب الكبت لا زالت قائمة فإن اللاشعور يظل مغتربا على شكل انفصال عن الشعور، وما هو إلا هروبا من اغتراب الفرد عن الواقع الاجتماعي.

إذن، فالاغتراب سمة متأصلة في وجود الذات حسب (مجدي أحمد محمد عبد الله، 2001: 7) إذ لا سبيل مطلقا لتجاوز اغتراب بين الأنا و الهو والأنا الأعلى، ويفسر فرويد هذا المفهوم بكونه ناتج عن حاجات الحضارة ومتطلباتها وضغوطاتها التي يمكن أن تتناقض جوهرها مع الذات مما يدفع بالفرد إلى الاغتراب عن الذات وعن المجتمع الذي يعيش في إطاره.

* **تفسير الاغتراب حسب إريك فروم (1900 - 1980):**

إذ كان هيجل أبو الاغتراب فإن إريك فروم هو أب الاغتراب في التحليل النفسي وهو أول عالم نفس قدم مفهوم الاغتراب في إطار سيكولوجي إنساني. عرض فروم في كتابه "الهروب من الحرية" "The fear of freedom" أهم ميكانيزمات الهروب عند الشخص المغترب.

* **السلطوية:** ميكانيزم الهرب من الحرية ونزعة للتخلي عن الحرية الذاتية ودمجها بشخص ما لاكتساب القوة التي تفتقدها الذات اللاوعي للفرد.

* **التدميرية:** هي من الشعور غير المحتمل بالعجز فظروف العجز والعزلة مسؤولية عن مصدريين آخرين للتدميرية القلق وانحراف الحياة.

* **تطابق الإنسان الآلي:** ورد في (محمد حضر عبد المختار، 1998 : 53) أن الفرد لكي يتغلب على شعور اللامعنى بالمقارنة مع القوة المهيمنة للعالم الذي خارجه إما عن تكامله الفردي أو عن طريق تدمير الآخرين.

يرى فروم في (عادل عبد الله، 2000 : 10) أن الاغتراب هو نمط من الخبرة يرى فيها الإنسان نفسه كما لو كانت غريبة عنه ومنفصلة عنه، ويرجع أسباب الاغتراب إلى طبيعة المجتمع الحديث، وسيطرة الآلة وهيمنة التكنولوجيا الحديثة على الإنسان فهي من صنعه ولكنها تسيدت عليه، وحينها تزداد حدة ما يشعر به الفرد من اغتراب وانفصال عن نفسه أو مجتمعه أو عالمه الموضوعي مما يجعل من حياته النفسية تختل ومعاييره تهتز.

ج - تفسير نظرية السمات والعوامل:

ترتكز هذه النظرية على العوامل المحددة التي تفسر السلوك البشري والتي تمكن من تحديد سمات الشخصية.

حسب الدراسات المقامة على الأشخاص ذوي الاغتراب المرتفع في (سناء حامد زهران، 2004 : 113) وجد أن السمات المميزة لهم هي:

التمركز حول الذات، عدم الثقة، التشاؤم، القلق، التباعد، الوحدة النفسية، توترات الحياة اليومية، الشعور بفقدان القوة على التحكم، اضطرابات في هوية الفرد نقص العلاقات الصادقة مع الآخرين، عدم القدرة على تبني القيم المرغوبة، عدم القدرة على التوحد مع الأيوين، عدم القدرة على إيجاد تواصل بين الماضي والمستقبل عدم الانسجام بين الفرد والأجيال السابقة.

د-تفسير نظرية الذات:

ورد في (سناء حامد زهران، 2004 : 114) أن كارين هورني (Horney) ترجع الاغتراب إلى: الفرد له ذات حقيقية ويتصور ذات مثالية وتشبه بها يجعله عاجزا عن إدراكه لذاته الحقيقية.

فالاغتراب حسب هذه النظرية ينشأ عن الإدراك السالب للذات أو انخفاض مفهوم الذات أو التفاوت بين تصور الفرد عن ذاته المثالية وذاته كما هو متوقع.

هـ- تفسير نظرية المجال:

هذه النظرية تفسر الاغتراب كونه ليس منحصرًا في عوامل داخلية فقط، بل هناك عوامل خارجية تتضمن سرعة التغيرات البيئية والاتجاه نحو هذه التغيرات والعوامل.

خاتمة:

الاغتراب هو وصف لحال الإنسان الواقع تحت هيمنة سلطة ما تسلبه ذاته وماهيته، وإمكانياته وتدفعه إلى واقع مغاير لحقيقة تماما. ونستنتج مما سبق أن:

- هناك صعوبة في تحديد المفهوم ولقد أسندت كذلك لتعدد عوامل ومصادر الظاهرة وهذا ما انعكس في تفاسير النظريات السيكلوجية.

- تشعب الظاهرة انعكس في تحديد المفهوم وضبطه، أسبابه ومصادره، وجعل التفاسير تختلف، كل هذا لم ينف إخضاعها للقياس الإمبريقي من طرف عدد من الباحثين مثل (سيمان ، دين) وغيرهما.

ليظل الاغتراب حالة سيكلوجية يعيشها الفرد بحثا عن الاتزان وتحقيقا للتوافق المفقود، الذي إذا عجز عن تحقيقه قد يلجأ إلى سلوك منحرف للتعبير عن اغترابه.

المصدر: القرآن الكريم، حسب رواية ورش.

المراجع:

- 1- إجلال محمد سري (2003)، **الأمراض النفسية الاجتماعية**، عالم الكتب.
- 2- تحية محمد عبد العال (1989)، **العلاقة بين الاغتراب والتوافق لدى الشباب**، كلية الآداب، جامعة أسيوط.
- 3- حامد عبد السلام زهران (2003)، **دراسات في الصحة النفسية والإرشاد النفسي**، عالم الكتب، القاهرة.
- 4- حليم بركات (2006)، **الاغتراب في الثقافة العربية متاهات الإنسان بين الحلم والواقع**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان.
- 5- رمضان محمد القدا في (1998)، **الصحة النفسية والتوافق**، ط3، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية.
- 6- سناء حامد زهران (2004)، **إرشاد الصحة النفسية لتصبح مشاعر ومعتقدات الاغتراب**، عالم الكتب، القاهرة.

- 7- سبهر عبد السلام (2003)، مفهوم الاغتراب عند هاريت ماركيز، دار المعرفة الجامعية، جامعة حلوان.
- 8- عادل عبد الله (2000)، دراسات في الصحة النفسية، الهوية، الاغتراب، الاضطرابات النفسية، دار الإرشاد.
- 9- علي شتا (1997)، الاغتراب في التنظيمات الاجتماعية، مكتبة ومطبعة الإشعاع الفنية، الإسكندرية.
- 10- ماجد الزيود (2006)، الشباب والقيم في عالم متغير، الطبعة العربية الأولى، الإصدار الأول، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.
- 11- محمد خضر عبد المختار (99/98)، الاغتراب والتطرف نحو العنف، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة.
- 12- محمد محروس الشناوي، محمد السيد عبد الرحمن (1998)، العلاج السلوكي الحديث، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة.
- 13- مجدي أحمد محمد عبد الله (2001)، الاغتراب على الذات والمجتمع وعلاقته بسمات الشخصية، جامعة الإسكندرية.
- 14- مصطفى سويف (2005)، مشكلات منهجية في البحوث علم النفس العيادي، مكتبة الدار العربية للكتاب.
- 15- نبيل رمزي إسكندر (1998)، الاغتراب وأزمة الإنسان المعاصر، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.
- 16- ديانا هيلز، روبرت هيلز (1999)، العناية بالعقل والنفس، تعريب واقتباس عبد العالي الجسماني، الدار العربية للعلوم بيروت، لبنان.
- 17- ريتشارد شاخ (1980)، الاغتراب، ترجمة كمال يوسف حسين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت.